دراسات في
التطبيع مع الكيان الصهيوني

الدراسات الفائزة في
المسابقة البحثية الدولية "لا للتطبيع"

تحرير

أ. د. محسن محمد صالح

المؤلفون

د. أحمد عبد الحكيم شهاب — أ. أحمد عوض الكومي — د. إلهام جبر شمالي

أ. إيمان سمعان عطا الله — أ. باسل صالح القاضي — أ. جوان محمود صالح

د. حكمت عايش المصري — أ. حيّان جابر — أ. رامي أحمد أبو زبيدة

د. عمر خضر سعد — أ. كمال عمار بوناب — د. لبيد عماد بن محمد

د. محمد عبد الرحمن عاشور — د. محمود عبد المجيد عساف — أ. نسمة حسين العطار

أ. هاجر أحمد زايدي — أ. يوسف صلاح الأشقر

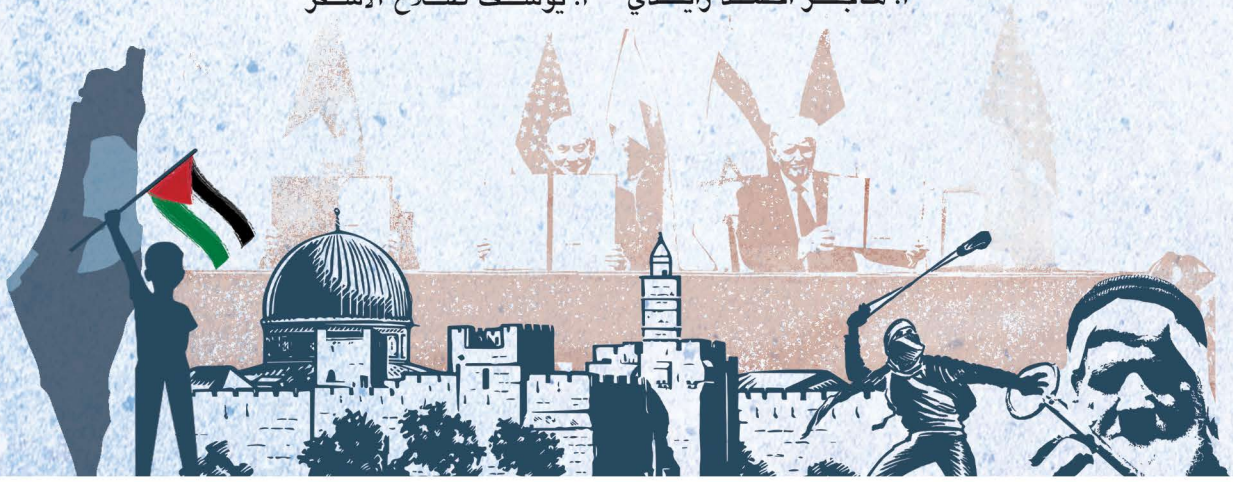

المعهد المصري للبحوث والدراسات الاستراتيجية — Elmessiri Academy for Research and Studies

PALM STRATEGIC Initiatives Centre

المركز الوطني للدراسات والاستشارات

الهيئة العامة للشباب والثقافة

الفصل الثاني

التطبيع في المخيال الديني اليهودي
هل هناك مستقبل لعلاقة سوية
بين "الأغيار" و"شعب الله المختار"؟

د. لبيد عماد بن محمد

التطبيع في المخيال الديني اليهودي
هل هناك مستقبل لعلاقة سوية بين "الأغيار" و"شعب الله المختار"؟

د. لبيد عماد بن محمد[1]

ملخص:

يعدّ التطبيع كظاهرة في العلاقات الدولية عموماً والسرديات الكولونيالية خصوصاً؛ إرثاً تاريخياً متفرداً بتجلياته المتشعبة، مورس وما زال يمارس بطرق وآليات مختلفة تبعاً للسياق التاريخي الذي حدث ويحدث فيه، ودرجة سطوة المركب الأيديولوجي في مخيال ممارسِه. وتعدّ العلاقة التطبيعية ذات الخلفيات التي تستند إلى المحركات الأيديولوجية الأعقد بين كل تجارب التطبيع الأخرى حيث يغيب عنها الواقع (العقل) ويحل محلّه الخيال والمتخيل (الأيديولوجيا والثيولوجيا)، إذ لا حوار حقيقي حينئذ، بل حواجز من الشعور الخفي بالفوقية أو الدونية، أو الكراهية والإقصائية.

تهدف هذه الدراسة إلى استقراء سطوة التناقضات القيمية الدينية في أنموذج التطبيع العربي الإسرائيلي الجديد من منظور المخيال الديني اليهودي للأغيار، وتطرح هذه الورقة البحثية إشكالية رئيسية مفادها: هل يمكن—في هذه الحالة التطبيعية— للاعتبارات السياسية والأمنية وللمصالح الاقتصادية أن تتجاوز المركّب الديني؟

الكلمات المفتاحية:

التطبيع	فلسطين	"إسرائيل"	المخيال

[1] **د. لبيد عماد بن محمد:** أستاذ محاضر في جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر. كاتب مختص بالشأن الفلسطيني والإسرائيلي، نُشر له كتابان، والعديد من المقالات المتعلقة بالشأن الفلسطيني.

مقدمة:

يعدّ التطبيع كظاهرة في العلاقات الدولية عموماً والسرديات الكولونيالية خصوصاً؛ إرثاً تاريخياً متفرداً بتجلياته المتشعبة، مورِس وما زال يمارس بطرق وآليات مختلفة تبعاً للسياق التاريخي الذي حدث ويحدث فيه.

في الحالة العربية، يُطرح التطبيع بكثرة ضمن سياق الصراع العربي الإسرائيلي بمساره الطويل، الذي تراوح على مدار نصف القرن العشرين بين اتجاهين أساسيين: اتجاه الصدام واتجاه التسوية، وفي خضمّه عرف المجتمع الأكاديمي أيضاً العديد من المفاهيم، منها ما جاء في السياق الأول؛ الحروب، والإبادة، والاستيطان، والتهويد، والأبرتهايد...، ومنها ما ورد في السياق الثاني؛ التقارب، و"السلام"، والتسوية، والتعاون، والتطبيع.

وإذا كان التطبيع في سياقه العام العربي الفلسطيني هو المشاركة في أي مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، مصمم خصيصاً للجمع، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، بين فلسطينيين، و/أو عرب، وإسرائيليين، أفراداً كانوا أم مؤسسات، ولا يهدف صراحة إلى مقاومة أو فضح الاحتلال وكل أشكال التمييز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطيني؛ فإنه في سياقه الديني يأخذ مدلولاً أكثراً تعقيداً، إذ يشير إلى مسار من التوافقات السياسية والاقتصادية والأمنية البينية المبنية على أرضية من التناقضات القيمية والدينية.

تسعى هذه الدراسة إلى استقراء هذه التناقضات القيمية الدينية من منظور إدراك المخيال الديني اليهودي، نصوصاً وسرديات، اعتذاريات وتجليات، أساطير وخرافات للتطبيع، وذلك باستقراء الموروث الديني التوراتي والتلمودي اليهودي القديم الذي كان وما زال الرافد الأساسي للفكر الصهيوني الإسرائيلي الاحتلالي الاستيطاني، والاحتلالي التوسعي الأبارتهايدي، ومن ثم السياسة الإسرائيلية تجاه الأغيار، الجوار العربي بصفة خاصة، وإسقاطه بصورة مباشرة على موجة التطبيع الجديدة بين "إسرائيل"، الواقعة بين هيمنة الحكومات اليمينية المتطرفة وتزايد سطوة الحريديم، وبعض البلدان العربية، في محاولة لفهم متغيرات ومؤشرات علاقة تبدو من الوهلة الأولى أنها غير متجانسة. فهل لمثل هذه العلاقات—انطلاقاً من هذه المعطيات والخلفيات—مستقبل سوي؟، وهل يمكن للسياسة أن تتجاوز القيم والاعتقادات الدينية اليهودية الراسخة

لآلاف السنين؟، وهل يمكن حقاً صناعة قيم معيارية مشتركة، هيكل أمني جديد للمنطقة وميثاق اقتصادي ضخم، قائمة على أساس رابح/ رابح...، وبإمكانها تجاوز الاعتبارات الأيديولوجية لدى الطرفين؟ وأخيراً ما هي تأثيرات وانعكاسات التطبيع على مستقبل الحل الفلسطيني؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال المتغيرات المتعلقة بالتطبيع، والدين، التي نحاول تحليلها وتفكيكها، فالكثير من الأبحاث والدراسات الأكاديمية تنظر إلى التطبيع من الزاوية السياسية أو الاقتصادية أو الأمنية، وتهمل دور الجانب الديني في ذلك، غير أنه من الأهمية القصوى معرفة وإدراك التركيبة الدينية للشخصية اليهودية انطلاقاً من النص التوراتي والتلمودي، ومدى انعكاس ذلك على سلوكها وتفاعلها مع المحيط الخارجي من الأغيار، ودرجة استعدادها النفسي والاجتماعي لبناء علاقات بينية وفق مقاربة رابح/ رابح.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. محاولة استقراء المخيال الديني اليهودي ومدى تأثيره على مخرجات السلوك الإسرائيلي.
2. التنبيه إلى ما قد يكون للمركّب الديني اليهودي من أثر وتأثير واضح وخفي، على مسار التطبيع مع بعض البلدان العربية التي سعت إلى ذلك.
3. التأكيد على صعوبة قيام علاقة مستقبلية سوية بين "إسرائيل" ومحيطها العربي المطبّع، من منطلق المعطيات الدينية الإقصائية الصفرية لأحد الطرفين.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على التعددية المنهجية، وهي لازمة لمثل هذه الأنواع من البحوث، فالمنهج التاريخي يبدو ضرورياً لاستقراء وتتبع الأحداث، والنصوص القديمة، ومسار التقارب والتطبيع، وتحليلها وتفكيكها، كما البناء المنهجي للدراسة لا يستوي دون المنهج المقارن اللازم لدراسة الحالات والفترات الزمنية والفواعل من خلال استخراج متغيرات عدة. ناهيك عن اعتمادنا على العديد من المداخل والاقترابات.

خطة البحث:

أولاً: الذات الحلولية اليهودية والتطبيع: الأنا " المقدّس" والآخر " المباح":

1. اليهودي "المقدّس" والرفض الأزلي للأغيار "الغويم".
2. الإحلالية الاقصائية تجاه الأغيار في المخيال الديني اليهودي.

ثانياً: العهود والمواثيق التطبيعية بين "شعب الله المختار" والأغيار في ميزان المخيال الديني اليهودي:

1. اتجاه بناء عهد أمني جديد للمنطقة: هل يمكن حقاً بناء الأمن في ظلّ عقيدة أمنية إسرائيلية ذات بعد ديني توراتي؟
2. اتجاه بناء ميثاق اقتصادي مشترك: هل يمكن للاقتصاد أن يتجاوز القيم الدينية المتناقضة؟

ثالثاً: دلالات التطبيع العربي الإسرائيلي وانعكاساته على مستقبل القضية الفلسطينية:

1. التطبيع كإقرار عربي ضمني بـ"إسرائيل" "دولة يهودية": الدلالات والانعكاسات.
2. التطبيع العربي الإسرائيلي: دلالاته وانعكاساته على طبيعة وبنية ومسار الصراع.

أولاً: الذات الحلولية اليهودية والتطبيع: الأنا "المقدّس" والآخر "المباح":

تعدّ العلاقة مع الآخر بوجوهها المختلفة مثل الحياد والتعاطف، الحب والكراهية، إحدى أهم محركات إنتاج الهوية في صورها الفردية والجمعية، وقد تكون هذه العلاقة مبنية على مستندات واقعية، كلون البشرة، ومستوى الفرد الثقافي والمادي، وقوة وضعف الجماعة التي ينتمي إليها الفرد أو الأفراد...، أو أيديولوجية متخيلة، كالانتماء إلى عرق أو دين أو مذهب معين، دون المستندات الواقعية.

وتعدّ هذه العلاقة التطبيعية التي تستند إلى المحركات الأيديولوجية، أو تؤثر فيها، هي الأخطر والأعقد بين كل المحركات الأخرى حيث يغيب عنها الواقع (العقل) ويحل محلّه

الخيال والمتخيل (الأيديولوجيا)، إذ لا حوار حينها، بل حواجز من الشعور بالفوقية أو الدونية، أو الكراهية والإقصائية.[2]

وفي هذا الجانب، تطرح ظاهرة التطبيع في موجتها الأخيرة المرتبطة أكثر بالتقارب الخليجي الإسرائيلي،[3] كجزء من تجارب التطبيع العربي الإسرائيلي منذ سبعينيات القرن العشرين، العديد من الإشكاليات ذات البعد الأيديولوجي الديني، وتتجلّى هذه المسألة بأكثر حدّة عند استقراء الموروث الثقافي الديني اليهودي التوراتي التلمودي الذي يشكل مرتكزاً أساسياً مبلوراً للمخيال الديني اليهودي تجاه غير اليهود، والذي ما فتئ يؤثر ويتحكم بشدة في التوجهات السياسية للحكومات الإسرائيلية المختلفة، من "اليمين" إلى "اليسار".

بيد أن الحديث عن أي علاقات من هذا النوع والتي قد تكون مبنية على مظاهر تقارب سياسي أو مؤشرات تبادل اقتصادي تجاري، أو إجراءات تعاون استخباراتي أمني، لا يحيّد على الإطلاق دور وأثر متغير القيم والاعتبارات الأيديولوجية في هذا الشأن، باعتبار أن القيم المعيارية المشتركة تعدّ الرافد الأساسي والجوهري الذي يحدّد في الأخير مصير ومستقبل أي تقارب مهما كان شكله، أو نوعه وطبيعته.

عطفاً على ما سبق، يمكن إسقاط موضوع أثر مسألة الأيديولوجيا والقيم على الفعل التطبيعي العربي الإسرائيلي انطلاقاً من استقرائنا لطبيعة الروافد القيمية المغذية للشخصية اليهودية، والمتحكمة بنسب كبيرة في مخرجاتها وسلوكياتها من جهة، وما يقابلها من قيم واعتقادات، وهل يمكن أن تتوافق وتتناسق مع سلوكيات الطرف الآخر، العربي الإسلامي؟

1. اليهودي "المقدّس" والرفض الأزلي للأغيار "الغويم":

بالعودة إلى المخيال الديني اليهودي، نجد أنه من الإشكاليات الأساسية التي تثار في الأدبيات اليهودية مسألة الانتماء اليهودي. وقد طرح السؤال منذ البداية كما يلي: هل ينتمي اليهودي إلى الجنس البشري ككل أم إلى الشعب اليهودي المختار أو "المقدّس"؟

---

[2] بوجناح بوسعد، وليليا شنتوح، "الآخر في الفكر الديني اليهودي وتغذية نزعة العداء والتعصب: دراسة في (التناخ والتلمود)،" مجلة **الشهاب**، مجلد 4، عدد 3، أيلول/ سبتمبر 2018، ص 320–337.

[3] شملت الموجة أيضاً إلى حدّ الآن بعض البلدان العربية الإفريقية وعلى رأسها السودان والمملكة المغربية بعد ما كان الأمر مقتصراً على مصر والأردن من سبعينيات القرن العشرين.

وهل الخالق هو إله اليهود وحدهم "كما يتصور بعض اليهود" أم إله العالمين؟، وفي ذلك يرى عبد الوهاب المسيري أن الإجابة القاطعة عن هذا السؤال داخل النسق— والمخيال—الديني اليهودي غير ممكنة؛ فهناك من القرائن ما يؤيد النزعة العالمية والانتماء إلى الجنس البشري، وهناك من القرائن ما يساند الرأي المناقض، ففي تراث "القبالاه"،[4] أصبح التمييز بين الشعب اليهودي والأغيار حادّاً إلى أقصى درجة، حتى أن "القباليين" ذهبوا إلى أن اليهود قد خلقوا من طينة مختلفة عن تلك التي خلق منها بقية البشر وإلى أن الأغيار خُلقوا على شكل الإنسان حتى يمكنهم القيام بخدمة اليهود.

يدّعي اليهود أنهم "أحباء الله" وأنهم شعب الله المختار اصطفاهم على العالمين، فهم مميّزون عن باقي البشر، وشعوب العالم أقل منهم منزلة، فأرواح بني "إسرائيل" كما يعتقدون تتميّز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، أما الأمم الأخرى من غير اليهود فقد أطلق عليهم العهد القديم اسم "أميين" أو "غويم" أي حيوانات، فهي حيوانات سائحة في شكل إنسان تتكلم لخدمة أبناء الله المختارين،[5] وقال الحاخام كوهين في كتابه "التلمود"؛ "يمكن تقسيم العالم إلى قسمين؛ إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى، فإسرائيل هي الشعب المختار، وهذه عقيدة أساسية".[6] واليهودي يعدّ عند الله أسمى من الملائكة فقد جاء في التلمود: "أن النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب هي نطفة حصان"، وجاء فيه أيضاً: "وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت لأجلهم الدنيا"،[7] لذلك تمّ التنظير لتفرّد الجنس اليهودي عن باقي الأجناس تماشياً مع النزعات العنصرية التي كانت سائدة في فلسفة القرن التاسع عشر والتي كانت ترى أن جنساً ما متفوّق بشكل طبيعي على غيره من الأجناس، وما دام اليهود جنس الله المختار فينبغي ألا يذوب في الأجناس

---

[4] **القبالاه:** مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، فاسمها مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي التقاليد والتراث، وكان يُقصد بها أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية، ثم أصبحت الكلمة تعني منذ أواخر القرن الثاني عشر أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة، وقد أطلق العارفون بأسرار "القبّالاه" على أنفسهم لقب "العارفين بالفيض الرباني"، ويمكن القول إن هذا المذهب يمثل الجانب الصوفي الباطني لليهودية.

[5] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الادعاءات الصهيونية والرد عليها** (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2004)، ص 74.

[6] روجيه جارودي، **الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية**، ط 3 (الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2001)، ص 54.

[7] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الادعاءات الصهيونية والرد عليها**، ص 75.

الأخرى الأقل منه شأناً،[8] لذا وجب إقامة وطن قومي في أرض الميعاد يكون متفرداً عن البلدان الأخرى حفاظاً على نقاوة الجنس اليهودي، فاليهود نشيطون وشجعان وحازمون وأذكياء، أما العرب مثلاً فهم منحطّون وأغبياء وخونة لا ينتجون إلا الأمور الشاذة المتأثرة بصمت الصحراء.[9] فاليهودي يمتلك الجرأة أكثر مما يمتلكه الأوروبي العادي والمتوسط، ناهيك بالآسيويين والإفريقيين؛ بل إن الثقافة اليهودية هي القوة المحركة لكل الثقافات العالمية.

عطفاً على ذلك يذهب عبد الوهاب المسيري إلى القول بعبارة "الاستقلال اليهودي" والتي يرى أنها تشير إلى أن لليهود شخصيتهم اليهودية المستقلة وتاريخهم اليهودي المستقل عن تواريخ الأغيار...، ويدلّل على ذلك في حديث أعداد من اليهود عن حبّ العزلة والرفض المطلق للاندماج وتفضيلهم "الجيتو" على الحياة مع الأغيار، بل ويتحدثون عن سمات جوهرية داخل الطبيعة البشرية اليهودية تجعلهم مستقلين عن باقي البشر ومختلفين عنهم. ومن المفارقات والتطرف أيضاً—حسبه—إن الجماعات اليهودية تطرح تصوراً لليهود باعتبارهم قد خُلقوا من عجينة مغايرة لتلك التي خُلق منها الأغيار.[10]

يذهب زئيف فلاديمير جابوتنسكي Ze'ev Vladimir Jabotinsky إلى أبعد من ذلك حين يقول:

> إن كل إنسان على خطأ، وأنت وحدك—الصهيوني—على صواب، لا تحاول أن تجد أعذاراً من أجل ذلك فهي غير ضرورية وغير صحيحة، وليس بوسعك أن تعتقد بأنك شيئاً في العالم إذا اعترفت ولو لمرة واحدة أن خصومك قد يكونون على صواب لا أنت، فهذه ليست الطريقة لتحقيق أي أمر، لا توجد في العالم إلا حقيقة واحدة وهي بكاملها ملكك أنت.[11]

---

[8] ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية في إنجلترا والصهيونية العنصرية**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (بيروت: دار الحمراء، 1977)، ص 164.

[9] المرجع نفسه، ص 65.

[10] عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (القاهرة: دار الشروق، 2004)، مجلد 2، ص 16.

[11] عبد الوهاب المسيري، **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي** (دمشق: دار الفكر المعاصر، 2002)، ص 112.

وقد ورد في سفر اللاويين في العهد القديم "إن الرّب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب، فتتميزون بين البهائم الطاهرة والنجسة فلا تدنّسوا نفوسكم بالبهائم والطيور، ولا بكل ما يدبّ على الأرض مما ميّزته لكم ليكون نجساً". "إن الله قد ميّز إسرائيل من سائر الشعوب" [سفر اللاويين 20–24].[12]

2. الإحلالية الإقصائية تجاه الأغيار في المخيال الديني اليهودي: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض":

ينطلق مفهوم الإحلال في المخيال اليهودي حسب عبد الوهاب المسيري من الإنكار الكامل لتاريخ وجغرافية السكان الأصليين في الأرض التي سيهاجرون إليها ويستوطنون فيها، فهي عادة، حسب اعتقادهم، أرض عذراء بلا تاريخ، غير مأهولة بالبشر، أرض بلا شعب،[13] كما أنها أرض وحسب ليس لها حدود واضحة، لذا فهي تتسع حسب قوة هذا الأخير في التوسع والامتلاك (المحراث والسيف) ومقدرته، وعليه، فإن ارتباط نهاية التاريخ بنهاية الجغرافية في الفكر اليهودي تجاه الأغيار أمر ثابت وجلي. والثابت أكثر هو تهميش السكان الأصليين للمنطقة واحتقارهم كسمة راسخة في الوجدان الديني الاستعماري الإحلالي اليهودي الصهيوني، فحتى وإن كانت "الأرض العذراء" مأهولة بالسكان، فهم قليلو العدد، ومتخلّفون يفتقرون إلى الفنون والعلوم والمهارات المختلفة، لهم "القابلية للاستعمار"[14] والاستعباد، يهملون الثروات

---

[12] **الكتاب المقدس**، طبعة "ريجارد واطسن" في لندن سنة 1831 على النسخة المطبوعة في روما سنة 1671م لمنعة الكنائس الشرقية، ص 74.

[13] عبد الوهاب المسيري، **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي**، ص 114.

[14] **القابلية للاستعمار:** مصطلح استعمله المفكر الجزائري مالك بن نبي يشير فيه إلى ظاهرة منطلقها تدخل المستعمر من أجل إيجاد نموذجاً للحياة والفكر والحركة في المستعمرات، وبعد أن تتم السيطرة المعنوية والمادية يصبح هذا الفرد المستعمر يقبل بالحدود التي يرسمها له الاستعمار ويفكر داخلها، ولا يخرج عليها، ويرسم شخصيته طبقاً لحدودها، بل ويدافع حتى لا تزول تلك الحدود التي أقنعه بها المستعمر، وحينها نكون هنا أمام فرد يعاني من "القابلية للاستعمار". وفي الغالب، فإن القابلية للاستعمار هي رضوخ داخلي عميق للاستعمار، هذا الرضوخ ناتج عن إقناع الاستعمار للأفراد المستعمرين (الأهالي) بتفوقه عليهم وعدم قدرتهم على إدارة شؤون حياتهم بدونه، ودونيتهم في كل شيء. كما يرى مالك بن نبي أن القابلية للاستعمار قد تكون ناتجة عن الواقعة الاستعمارية أي خضوع شعب ما للاستعمار، كما قد تكون ناتجة عن صفات عقلية ونفسية ترسخت في أمة معينة نتيجة ظروف وصيرورة تاريخية معينة، تجعلها تفشل في القيام بفعل المقاومة، وبالتالي الشعور بالدونية اتجاه الآخر المتفوق حضارياً، ويعتقد بن نبي أن كثيراً من أفراد المجتمع الإسلامي يعانون من القابلية للاستعمار حتى ولو كانت بلدانهم غير خاضعة له.

الطبيعية الكامنة في الأرض، وهم عادة مجرّد رحالة لا يستقرّون في أرض ما، وهم شعب لا تاريخ له، فأعضاؤه جزء لا يتجزأ من الطبيعة كالثعالب والذئاب وسائر الحيوانات المتوحشة، ومن ثم فلا حقوق لهم، لكلّ هذا فإن وجود هؤلاء الناس هو وجود عرضي، ومن الضروري وضع حلّ جذري ونهائي للمشكلة الديموجرافية، أي مشكلة وجود السكان الأصليين في الأرض العذراء، وضرورة اجتثاثهم تماماً.

الإحلالية الإقصائية[15] تجاه "الغويم" العربي في المخيال اليهودي:

الثابت في المخيال الديني اليهودي هو التفريق بين اليهود وغيرهم من الأجناس الأخرى، فالوقوف على النصوص الدينية التوراتية والتلمودية يبيّن أن الإله "يهوه القدير" فرض على اليهود تعاليم وطقوس وشعائر تعبدية ترتكز على الإحلالية والإقصائية والعنف، ممّا جعل هذه السمات مسلمات ثابتة في مخيالهم الديني وسلوكهم تجاه الأغيار وخصوصاً العرب منهم.

بالعودة إلى كلمة "غويم" بمقابلها العربي "الأغيار"، فقد كانت الكلمة بادئ الأمر في المخيال اليهودي تنطبق على اليهود وغير اليهود، وبعد ذلك تطورت لتعني غير اليهود دون سواهم، لتتطور الكلمة مع الوقت على يد الحاخامات وتكتسب إيحاءات الذمّ والقدح ليصبح معناها "الغوغاء" و"الدهماء" و"الأنجاس"، لتحمل أخيراً معنى الكفر والقذارة المادية والروحية التي تميز غير اليهود.[16]

ويأخذ "الغويم العربي الإسلامي"[17] النصيب الوافر من الاحتقار والإقصاء في المخيال الديني اليهودي التوراتي والتلمودي، حيث ينطوي على العديد من ألفاظ السباب والذم أشهرها "حمزير" ومعناه "ابن الزنا" أو "ابن الحرام"، ويستعمل هذا اللفظ

---

[15] ولمعلومات أكثر في موضوع تحول "إسرائيل" نحو دولة يهودية إحلالية إقصائية يمينية استيطانية، يرجى العودة إلى: هنيدة غانم، "ملخص تنفيذي: نحو ترسيخ إسرائيل دولة يهودية يمينية استيطانية، وتوجه لفرض الحل الأحادي،" في **تقرير "مدار" الاستراتيجي** (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2016)، ص 13–24.

[16] عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية** (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978)، ص 209.

[17] المسيحيون أيضاً لهم نصيبهم من القدح والذم والتحقير في النصوص التوراتية والتلمودية، حيث يطلق لفظ "عاريل"، ومعناه قذر وكافر؛ لأنه لم تجرَ لهم عملية الختان أو الطهارة وبقوا على بدائيتهم المقيتة.

للإشارة إلى العرب كشعوب حقيرة مختلطة الأنساب، ويأخذ هذا المخيال الإقصائي العنصري روافده الأساسية من أن العربي المسلم مولود من "إبراهيم" لكن عن طريق "هاجر" التي يعدّونها جارية أجنبية، فكل من ينتمي إليها منتسب بالأصل، وبالتالي يعدّ في المخيال اليهودي من أبناء الحرام "حمزير".[18]

أما في الشق السياسي لهذا المخيال فصورة الثنائية الإسرائيلية – العربية تكتمل أكثر ضمن سياق محاولة استقراء "المغازلات التطبيعية" من منظور التقييم والاستشراف لمتغيرات ومؤشرات هذا التماس الثنائي الجديد والمفاجئ؛ التطبيع، حين العودة إلى إحدى الصياغات المتداولة في الفكر الثيوسياسي الصهيوني القائل بـ"أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، كإيحاء وتعبير جليّ بالإقصاء والتجاهل وحتى التحقير للأغيار من الأجناس الأخرى وهم العرب بالخصوص (يرتس العرب)، والملاحظ أن هذا الشعار يتّسم بتناسقه اللّفظي الساحر، فهو ينقسم إلى قسمين متساويين يستخدم كل قسم القدر نفسه من الكلمات، وكلمة "بلا" في القسمين هي المركز الثابت والعنصر المشترك، وما يتحرك هو كلمتا "الأرض" و"الشعب"، فيتبادلان مواقعهما تماماً كما يتبادل اليهود والعرب مواقعهم، حيث ينتقل اليهود من "الدياسبورا"[19] إلى المركز وأرض الأجداد، في حين ينتقل العرب والفلسطينيون من المركز إلى الدياسبورا (الشتات).

وفق هذا المخيال اتهم العرب والفلسطينيون بالرّكود، والفجور، والحكم المتعفن، والفساد، والنفاق، والمجتمع الكاذب، وأعداء الحضارة والمدنية والتطور، بعكس اليهود الذين كانوا يعنون "التقدم" وإقامة حكومة حديثة، لذا فلن يصل العربي إلى مستوى الموهبة الطبيعية اليهودية وسيبقى اليهودي دائماً في القمة وهو ينوي البقاء هناك،[20] لذلك يجب تعديل المعادلة البشرية التي أقرها "يهوه القدير" في النصوص التوراتية بإعطاء اليهودي مكانته الموعودة الثابتة بجعله في المركز ومن ثم يصبح العالم كله فراغاً

---

[18] محمد علي دولة، اليهود والغُوييم – احتقار اليهود الأمم الأخرى، موقع رابطة العلماء السوريين، 2018/12/31، انظر: https://islamsyria.com/site/show_articles/442 (اطلع عليه في 2021/2/22)

[19] **الدياسبورا أو الشتات:** مصطلح يطلق على أماكن تواجد شعوب مهاجرة من أوطانها في مناطق مختلفة من العالم ليصبحوا مشتتين فيها كمجموعات متباعدة، ويتفاعلون فيما بينهم بمختلف الوسائل للتنسيق لمحاولة العودة إلى أوطانهم. ومن الأمثلة على شعوب تعيش في الشتات: الآشوريون، والسريان، والكلدان، واليهود.

[20] ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية في إنجلترا والصهيونية العنصرية**، ص 165.

بلا تاريخ أو بشر.[21] وبالتالي اجتثاث الفلسطينيين والعرب من هذه الأرض أصبح أمراً حتمياً وإن الإبادة في هذا الوضع تصبح "عبادة"، بغية إقامة دولة يهودية خالصة لا تشوبها أيّ شوائب عرقية أو حضارية أخرى، وفي ذلك يذهب المفكر عبد الوهاب المسيري إلى القول إن صورة العربي المتخلف صورة مهمة في الأدبيات الصهيونية، مستدلاً على ذلك بالعديد من الأقوال والرسائل فقد لاحظ —حسبه— المفكر الصهيوني آحاد هعام Ahad Ha'am سنة 1891 "أن المستوطنين الصهاينة يعاملون العرب باحتقار وقسوة، وينظرون إليهم باعتبارهم متوحشين صحراويين، وعلى أنهم شعب يشبه الحمير، لا يرون ولا يفهمون شيئاً مما يدور حولهم".[22]

انطلاقاً من مضمون الاعتذاريات الصهيونية الحلولية العضوية السالفة الذكر المبنية على مقاربة أن اليهودي موضع القداسة والعربي المتخلف خارجها، وتماشياً مع حجم تأثير الفكر اليهودي التوراتي على السلوك الإسرائيلي في العقود الأخيرة، واعتباراً للمعطيات التطبيعية الإسرائيلية الحالية مع بعض الدول العربية، يطرح التساؤل حول حقيقة ومستقبل هذه الزيجة ذات المعطيات المتناقضة، وفق ثلاثة افتراضات أساسية:

- أولهما انعتاق إسرائيلي مفاجئ من سطوة العقيدة الدينية اليهودية والفكر الصهيوني القائم على احتقار الأغيار وحرمة التعامل معهم، مخيال يهودي صهيوني قديم/ عربي بالمنظور القديم.
- هناك توليفة يهودية صهيونية جديدة فرضتها معطيات إقليمية ودولية جديدة؛ أحدثت تطبيعاً للشخصية اليهودية أولاً، ثم مساراً تطبيعياً مبنياً على عهود ومواثيق جديدة تربطهم بما أمكن من العرب، مخيال يهودي صهيوني جديد/ عربي جديد.
- إن مثل هذه الزيجة السياسة الجديدة تحمل في تركيبتها بذور فشلها، انطلاقاً من مؤشرات التناقض والتنافر في تركيبتها.

[21] عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مجلد 1، ص 145.

[22] عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مجلد 7، ص 167.

ثانياً: العهود والمواثيق التطبيعية بين شعب الله المختار والأغيار في ميزان المخيال الديني اليهودي:

ينظر إلى مسألة التطبيع العربي الإسرائيلي في موجته الثالثة من زوايا عدة، سياسية، واقتصادية، وأمنية...، غير أن القراءة الدينية تظلّ الأكثر تعقيداً وقدرة على تفكيك أهم متغيرات ومؤشرات هذه الظاهرة القديمة الجديدة. فلا يمكننا بأيّ حال من الأحوال تفكيك واستقراء أي مسار أمني أو اقتصادي ثنائي ضمن هذه المنظومة التطبيعية بعيداً عن التأثيرات الدينية والقيمية لأحد الطرفين. فبالرغم من تعدد قنوات التقارب الاقتصادي والأمني ومرونتها في كثير من الأحيان، تبقى القيم والاعتقادات الدينية في المجتمعات الشرقية الأكثر تأثيراً في أي ديناميكية، سلطوية كانت أم شعبية، باعتبارها المبلور والرافد الأساسي للمخيال الجمعي.

تشير المعطيات الأولية للفعل التطبيعي العربي الإسرائيلي الحالي إلى محاولة مبدئية للجمع بين متناقضين متنافرين. أول مظاهر هذا التنافر ما يطرحه الفكر اليهودي المتشبع بالقيم التوراتية التلمودية من أفكار ومعتقدات متعلقة بالعلاقة مع الآخر العربي والإسلامي، وما تمثله هذه المعتقدات والأساطير الراسخة في المخيال الديني اليهودي الصهيوني من تأثير على السلوك السياسي الإسرائيلي الحالي ذو التجليات الإحلالية الإقصائية. أما ثانيهما فهو ما يحوزه الطرف الآخر، الطرف المستقبل للنكزات التطبيعية، من مرجعيات ومعتقدات دينية، وقيم أخلاقية، وأعراف مجتمعية، ذات تجليات تكاد توافق وتشابه الطرف الأول في الرفض.

والواضح أنه في خضم هذا الجدال، الذي يبدو أنه ذو صبغة دينية خالصة، الأولى أن يكون تساؤلنا مرتبطاً أكثر بمدى قدرة التطبيع العربي الإسرائيلي، وفقاً للمعطيات الثيولوجية السالفة الذكر، على إيجاد عهود ومواثيق أمنية واقتصادية ثابتة ومستدامة بين الطرفين؟

1. اتجاه بناء عهد أمني جديد للمنطقة: هل يمكن حقاً بناء الأمن في ظلّ عقيدة أمنية إسرائيلية ذات بعد ديني؟

تفترض المناقشات السائدة لموضوع الأمن تصوراً مؤداه أن أساس البحث في حدود "إسرائيل" هو التوصل إلى حدود تكفل الأمن الشامل لها، وفي إطار هذا التصور تدّعي "إسرائيل" بأن الحدود الآمنة هي بالضرورة حدود جديدة موسعة سواء أكانت حدوداً

جغرافية قائمة على التوسع الاحتلالي الاستيطاني (الضفة الغربية، وهضبة الجولان، وسيناء سابقاً...) أم حدوداً تطبيعية معنوية ("السلام" مع مصر والأردن سابقاً، وبعض الدول الخليجية[23] والسودان والمغرب حالياً، ...)، وينبني الموقف الإسرائيلي في هذا الشأن على مستويين أساسيين وهما:[24]

المستوى الأول: تقرير عام بأن الحدود الآمنة لـ"إسرائيل" ليست خطوط سنة 1967.

المستوى الثاني: تقرير إجرائي بأن الحدود الآمنة هو بحث في أمن "إسرائيل" في المجال الجيو–استراتيجي الموسع الموجودة فيه.

فوبيا الأمن وهوس البحث عن مواثيق أمنية إقليمية جديدة:

أصبح المجتمع الإسرائيلي يعيش "فوبيا الأمن"،[25] فبالرغم من الانتصارات الكبيرة المحققة ميدانياً؛ الحروب، والسيطرة الأمنية الداخلية، والترتيبات الأمنية مع الفلسطينيين، والتعاون الأمني مع دول الجوار وعلى رأسها مصر والأردن...، إلا أن المجتمع الإسرائيلي ما يزال يسكنه الشعور المتنامي باللا أمن ويفتقد بشدة للسلام الداخلي.

أدى هذا الشعور المتزايد مع الوقت إلى التفكير في ضرورة الوصول إلى حلول سلمية ذات مستوى موسع وعال،[26] تصنع الأمن، لذلك كانت الدعوة إلى تطبيق نموذج "السلام" المصري الأردني الإسرائيلي على الحالة الفلسطينية الإسرائيلية أولاً، ثم على ما أمكن من الأطراف الإقليمية الأخرى ثانياً (تركيا، الدول الخليجية...).

---

[23] **بلدان الخليج:** يجمعها مجلس التعاون الخليجي، ويتكوّن من ستة ممالك في شبه الجزيرة العربية؛ المملكة العربية السعودية، والبحرين، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عُمان، وقطر، والكويت. تأسّس مجلس التعاون العربي في 1981/5/25 بالاجتماع المنعقد في العاصمة الإماراتية أبو ظبي.

[24] جهاد الغرام، "فك الارتباط في المشروع الصهيوني لتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي (منذ اتفاق أوسلو... دراسة مستقبلية)،" جامعة الجزائر–3–، كلية العلوم السياسية والإعلام، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2010، ص 147.

[25] **الفوبيا:** أو ما يسمى بالرهاب؛ هو ردّ فعل مصحوب بخوف مفرط وغير منطقي، يحسّ فيه المريض بخوف عميق أو ذعر عندما يواجه مصدر هذا الخوف أو العامل المحفز له، ويمكن أن يكون الخوف من مكان أو موقف أو شيء معين، وعلى عكس اضطرابات القلق العامة، عادة ما يرتبط الرهاب بشيء محدد ومستمر.

[26] هواجس هذا التخوف يمكن إرجاعها إلى انعدام عنصرَي الزمن والمجال الإقليمي، فغياب العمق الإقليمي لـ"إسرائيل" شكّل هاجساً أمنياً كبيراً، مثلاً: حسب التقديرات الإسرائيلية، فإن طائرة حربية بإمكانها عبور كل "إسرائيل" خلال أربع دقائق، وأن تصل إلى القدس عبر غور الأردن خلال دقيقتين فقط.

وفي هذا الإطار، سيكون مهماً لـ"إسرائيل" وأمنها تشكيل هيكل أمني جديد للمنطقة مرتبطاً بتوجهات العقيدة الأمنية الإسرائيلية، وقد يكون مبنياً على تحالف مشابه لحلف شمال الأطلسي (الناتو) North Atlantic Treaty Organization (NATO)، أي بلورة "ناتو عربي" يمكّن من بناء شبكة بينية موسعة للتبادل والتعاون المعلوماتي والاستخباراتي وفق قاعدة رابح/ رابح وضمن قاعدة "السلام مقابل السلام"، ولم لا توحيد الجهود والقدرات الدفاعية البينية الإسرائيلية العربية الخليجية ومصر والأردن؛ بهدف التصدي للتهديدات التي تعترض هذه الدول، وللملاحة الدولية عبر مضيق هرمز في الخليج العربي، ومضيق باب المندب في البحر الأحمر.

في دراسة لمركز الأمن الأمريكي الجديد Center for a New American Security، الصادرة سنة 2016 وترجمها مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات كان الإجماع على أن بناء أي نظام أمني في المنطقة لا بدّ أن يمر على مجموعة من المبادئ الأساسية، نذكر منها:[27]

- بناء هيكل متعدد الطبقات يستجيب للمخاوف الإسرائيلية وتحتفظ فيه "إسرائيل" بحق الدفاع عن نفسها بنفسها.
- تكثيف الجهود الاستخباراتية المشتركة لمحاربة "الإرهاب" والتهريب مع الدول العربية المعتدلة (المطبّعة)، بحيث لا يقتصر الأمر على مصر والأردن، بل يشمل الإمارات، والبحرين، والمغرب، والسودان أيضاً، بل ويشمل أيضاً السعودية، وقطر، ودول خليجية أخرى لها أجهزة استخباراتية قوية ومصالح مشتركة مع "إسرائيل" في مواجهة إيران و"الإرهاب".
- ضرورة بناء نظام أمني شامل للحدود لا يقتصر على السياج الحدودي، بل يشمل أيضاً حواجز إضافية ومجسّات لرصد الحركة،... .
- بناء عمليات مشتركة متعددة الأطراف، مع وضع آليات لتبادل المعلومات بحيث يكون الجيش الإسرائيلي على درجة عالية من الإحاطة بمجريات الأمور.

[27] إيلان جولدنبرج وآخرون، تعزيز الحوار: نظام أمني لحل الدولتين، سلسلة ترجمات الزيتونة (80)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تموز/ يوليو 2016، ص 16.

وفي هذا الجانب بالذات، يجد المطبّعون التقليديون والجدد مجالاً للمناورة والتسويق السياسي والشعبي والإعلامي للتطبيع الأمني العربي الإسرائيلي؛ من خلال إبراز التهديدات الإيرانية إلى الواجهة، وترويج الاعتقاد أن الشراكة الأمنية العربية، الإسلامية السنية، الإسرائيلية، اليهودية الصهيونية، هي السبيل الوحيد لمواجهة الخطر الإيراني، الشيعي، المشترك.

بيد أن أي توجه أو عقيدة أمنية لا يمكن أن تكون بمنأى عن عدة أبعاد أهمها البعد الديني، وتبعاً لما تمّ التطرق إليه في العناصر السابقة من تأثير مفصلي للبعد الديني على المخيال اليهودي وانعكاساته على الفعل والسلوك الإسرائيلي، نتجه في هذا الإطار إلى استقراء البعد التوراتي في المنظور الأمني الإسرائيلي، وتأثيره على أي عقد أو عهد أمني جماعي ضمن سياق موجة التطبيع العربي الإسرائيلي الحالي الصريح أو الخافت؟ أو بالأحرى، هل حقاً يمكن لـ"إسرائيل" إقامة عهد أمني مشترك مع المطبّع العربي بعيداً عن تأثيرات المخيال الديني التوراتي التلمودي وإسقاطاته؟

التطبيع الأمني الإسرائيلي العربي: صدام المنظور السياسي بالمنظور الديني:

يذهب الباحث مهند عبد الحميد إلى القول إن الأمر لن يكون صادماً حين نلتمس الاستعلائية الإقصائية داخل النصوص التوراتية والتلمودية، تلك النصوص التي تدعو إلى تفضيل اليهودي ونبذ الأغيار من خلال إسهابها في تناول موضوع الأمن والحرب ومواجهة الأعداء والعلاقة معهم، وفيها يتم أيضاً قراءة العهد القديم قراءة قومية إلى حدّ الادّعاء أن الأغيار هم العرب والفلسطينيون بالتحديد.[28] فالعهد القديم حافل بالقصص الخيالية التي تنبذ التعامل مع الأغيار ووضع الثقة فيهم. بل من كمال التقرب إلى "يهوه القدير" وحسن العبادة معاملتهم بالاحتقار أو الإبادة، ووفق هذا المخيال الأسطوري تصبح الإبادة في حقهم عبادة. فكيف يا ترى يمكن بناء منظومة أمن جماعية وفق هذه التوليفة؟

ومن ناحية ثانية جاءت نصوص العهد القديم أيضاً مؤكدة على تحريم العهود مع الأمم الأخرى، حيث ورد في سفر الخروج ما نصه "وأجعل حدود أرضكم من البحر الأحمر جنوباً إلى البحر المتوسط غرباً، ومن الصحراء شرقاً إلى الفرات شمالاً، وأسلم

[28] مهند عبد الحميد، **اختراع شعب وتفكيك آخر: عوامل القوة والمقاومة – والضعف والخضوع** (رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات)، 2015)، ص 37.

إلى أيديكم سكان الأرض فتطردوهم من أمام وجوهكم. لا تقطعوا لهم ولا لآلهتهم عهداً، ولا يقيموا في أرضكم لئلا يجعلوكم تخطؤون إليّ فتعبدون آلهتهم ويكون ذلك لكم شركاً".[29]

وجاء في سفر التثنية ما نصّه "وإذا أدخلكم الرب إلهكم الأرض التي أنتم مزمعون أن تمتلكوها، وطرد أمماً كثيرة من أمامكم كالحثيين، والجرجاشيين، والأموريين، والكنعانيين، والفريزيين، والحويين، واليبوسيين، وهم سبعة شعوب أعظم وأكثر منكم، وأسلمهم إلى أيديكم وضربتموهم فاجعلوهم محرّمين عليكم، لا تقطعوا معهم عهداً".[30]

تؤكد هذه النصوص وأخرى كثيرة في التوراة والتلمود؛ طبيعة الإدراك اليهودي الصهيوني الإسرائيلي القائم على حدود الأمن المبنية على إلغاء الآخر بتاريخه وجغرافيته، وأن أمن اليهودي يفرض بالقوة ولا يطلب إلا في حالة الضعف التي يجب أن تبقى في حكم الشاذ والمؤقت.

وقد أكدّ التلمود كذلك هذا الحكم، وإن كان أجازه استثناء على سبيل المخادعة والمراوغة، ويفسّر التلموديون مسألة العهد مع الآخرين بقولهم: "إن العهد إذا أبرم يجب أن يبرم بين طرفين متكافئين، ولما كان الأممي (الأغيار) لا يساوي اليهودي فإنه لا يحق لليهودي إبرام عهد معه، وحتى لو أبرم عهداً بظرف فهو في حلّ منه عندما يزول السبب، إذ من الوجهة الشرعية لا يمكن لليهودي أن يبرم معاهدة [إلا] عندما يكون ضعيفاً، ويجب أن يلغيها عندما يكون قوياً".[31]

ومن خلال هذه النصوص نلاحظ مركزية السردية الدينية التوراتية الإقصائية تجاه الآخر، ويزداد هذا الإقصاء الممزوج بالفوبيا أكثر، عندما يتعلق الأمر بالادّعاء بإمكانية بناء هيكل تعاون وارتباط أمني مع الجانب العربي، بمنظور سياسي واقتصادي بعيداً عن الدين، إذ أنه بمجرد أن نضع أنفسنا بعيداً عن الدين، قريباً من الإدراك السياسي، فإن المنطق والتجارب السابقة تشير إلى أن "إسرائيل" تضع مسألة الأمن ضمن نطاق "المقدّس"، إذ يستحيل أن تشارك أي مسؤولية أمنية مع طرف خارجي.

---

[29] **العهد القديم**، سفر الخروج 23، 33، 35.

[30] **العهد القديم**، سفر التثنية 7/2.3.

[31] الأرقم الزعبي، **حقائق عن اليهودية** (بيروت: الدار المتحدة للطباعة، 1990)، ص 51.

وهذا ما أشار له مركز الأمن الأمريكي الجديد في دراسة له سنة 2016 بالقول إنه عندما يتعلق الأمر بمسألة الأمن يرفض الإسرائيليون أي جهود تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وحتى حلف الناتو لتوفير الأمن لها، فكيف يكونوا مستعدين لوضع ثقتهم فيما يتعلق بعناصر أساسية من أمنهم بجيرانهم العرب، الأغيار المطبّعين.[32]

2. اتجاه بناء ميثاق اقتصادي مشترك: هل يمكن للاقتصاد أن يتجاوز القيم الدينية المتناقضة؟:

حين الحديث عن الاقتصاد يبدو من الناحية النظرية؛ أن العامل الأيديولوجي والثيولوجي بالتحديد لم يعد المتحكم الرئيسي في ديناميكية التطبيع العربي الإسرائيلي كما في العناصر السابقة، إذ يبدو جلياً طغيان العامل الاقتصادي الذي فرضته العديد من المصالح والاحتياجات الاستراتيجية الجديدة، التي رسمت مسارات أخرى لنطاق التفاعل ومستواه بين "إسرائيل" وجيرانها العرب، مبنية على أطروحات التطبيع الشامل.

أولى نواة هذه المسارات ترجمها شمعون بيريز Shimon Peres في مشروعه الشرق الأوسط الجديد الذي لا يتوقف—حسب تصوره—عند حدود إقامة المشروع السياسي، بل يتعدى ذلك نحو تأسيس نظام إقليمي اقتصادي يتشكل وفق النموذج الأوروبي، مع بناء هيكل متكامل من الهيئات واللجان الإقليمية والفنية والاختصاصية، ولذلك نجده قد طرح مشروعه على مرحلتين: مرحلة أولى تؤكد على أولوية تحقيق اتفاق لـ" السلام" مع الدول العربية، فيما تأتي مرحلة ثانية تركز على ضرورة إطلاق مفاوضات ثنائية مع كل دولة عربية على حدى، تنتهي بتطبيع كامل وشامل معها، مع تأكيده على أن أي مقاربة لن تكون ناجحة إذا لم تغلّف بالرخاء الاقتصادي،[33] وهنا يمكن القول إن بيريز قد لخّص المنظور الإسرائيلي في مقاربة اقتصادية براجماتية مفادها: "لا رخاء اقتصادي في المنطقة دون سلام حقيقي، ولا سلام حقيقي بدون رخاء اقتصادي مستدام"، ذلك أن الدول العربية بثرواتها ورؤوس أموالها ستبقى بحاجة ملحة للعقل والمعرفة اليهودية، وأن تكاملهما الإيجابي هو فقط من يقود إلى ذلك.

---

[32] إيلان جولدنبرج وآخرون، تعزيز الحوار: نظام أمني لحل الدولتين، ص 8.

[33] لمزيد من المعلومات يرجى العودة إلى: شمعون بيريز، **الشرق الأوسط الجديد**، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ (الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994).

وقد تبنى بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu أيضاً هذه الاستراتيجية البراجماتية الاقتصادية القديمة بصورة جديدة، بعد ما يقارب العقدين من الزمن، حين أشار في مقال له في مجلة الإيكونوميست The Economist في كانون الثاني/ يناير 2018 إلى أن: "إسرائيل أصبحت مثالاً للاقتصاد القائم على المعرفة، حيث رأى أن العديد من الدول العربية حالياً لا تنظر إليها كعدو بل كحليف لا غنى عنه في المعركة المشتركة ضدّ الإسلام المتشدد، والأهم من ذلك أنها تسعى إلى التكنولوجيا الإسرائيلية لمساعدة اقتصاداتها"،[34] باعتبارها الشريك الجديد الموثوق للحكومات العربية في طريق الرخاء.[35]

وعطفاً على ذلك، فقد تنامى نسق التطبيع التجاري والاقتصادي بين "إسرائيل" والدول العربية بوضوح خلال السنوات الأخيرة، فوفق بيانات دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية Central Bureau of Statistics (CBS) في أيلول/ سبتمبر 2016، فقد قدّر إجمالي الصادرات الإسرائيلية من السلع والخدمات إلى أسواق منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بنحو 7 مليارات دولار أمريكي، من بينها أكثر من مليار دولار للدول الخليجية العربية، ومثلت أسواق منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا نحو7% من إجمالي الصادرات، و6% من إجمالي الواردات الإسرائيلية من السلع والخدمات.[36]

وفي هذا الجانب يبدو نتنياهو مطمئناً وواثقاً من نجاح المسار الاقتصادي للتطبيع، بحيث يبدو أنه لا يولي أهمية كبيرة لدور العوامل الأيديولوجية—الدينية تحديداً—في إعاقة تبلور علاقات أكثر عمقاً واتزاناً واستدامة بين الطرفين، بالرغم من وجود مفارقة أن المسار السياسي الإسرائيلي في السنوات الأخيرة يجنح بوضوح باتجاه الحكومات اليمينية الحريدية المتطرفة، ذات الارتكازية المفعمة باليوتوبيا الدينية "المسيانية"،[37] وأن

---

[34] كلايف جونز ويويل جوزانسكي، الإخوة الأعداء: "إسرائيل" وممالك الخليج، سلسلة ترجمات الزيتونة (84)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تشرين الثاني/ نوفمبر 2020، ص 3.

[35] منصور أبو كريم، "الحل الإقليمي من منظور الأحزاب الإسرائيلية في ضوء التحولات الإقليمية،" في ياسمين حلمي العايدي، **أثر السلام الاقتصادي على الصراع العربي الصهيوني** (برلين: المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، 2019)، ص 138.

[36] وحدة الدراسات السياسية، التطبيع العربي مع إسرائيل: مظاهره ودوافعه، سلسلة تقدير موقف، موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، 2020/6/21، انظر:
https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/Arab-Normalization-with-Israel-its-Manifestations-and-Motives.pdf (اطلع عليه في 2021/2/27)

[37] **المسيانية:** أو المسيا أو المشايح المنتظر، ويأخذ معنى البطل والمخلص والمعتق. لمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى كتاب: آسيا شكيرب، **المسيانية في الفكر الديني اليهودي وأثرها في المسيحية والحركات الدينية المعاصرة** (الجزائر: ألفا للوثائق، 2019).

الإدراك الإسرائيلي الرسمي والشعبي، السياسي والاقتصادي والاجتماعي أصبح حبيس السرديات التوراتية اللاهوتية بدرجة كبيرة جداً،[38] ولعلّ أكبر دليل على ذلك قانون "يهودية الدولة" وما تضمنه من تعريف للدين بالقومية والقومية بالدين.

بيد أن "إسرائيل" كلما أصبحت أكثر يهودية؛ كلَّما تأثرت سياساتها بالاعتبارات الأيديولوجية اليهودية أكثر من تأثرها بالمصالح الاقتصادية، وبالتالي لا يمكن تجاهل تأثير الدِيانة اليهودية على سياسات "إسرائيل" الاقتصادية. وفي ذلك يرى محسن صالح مدير مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات أن الأنظمة العربية التي ظنّت أن حبل نجاتها بيد الإسرائيليين كانت خاطئة، إذ إن جوهر المشروع الصهيوني مبني أساساً على بقاء البيئة العربية الإسلامية ضعيفة مفككة متخلفة، ولأن الحالة النهضوية الحقيقية في الأمة تعني بالنسبة له خطراً وجودياً.[39] فحتى المعطيات الاقتصادية الواردة في مشروع "صفقة القرن" تكتنفها الكثير من مواطن الشك والريبة، إذ إن جاذبية العروض الاستثمارية الحينية لا يجب أن تغطي الانعكاسات الكارثية على الاقتصادات العربية مستقبلاً، ونقصد هنا الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية الأمريكية على الاقتصاديات العربية.

وفي ذلك يذهب عبد الوهاب المسيري إلى القول:

> إن التطبيع يقود إلى رفع المقاطعة العربية عن إسرائيل وفتح أسواق المنطقة أمام بضائعها. وستقوم السوق الشرق أوسطية على أساس تكامل الطاقات الاقتصادية وتقسيم العمل بين النفط العربي، والمياه التركية، والكثافة السكانية، والسوق المصرية، والخبرة والمهارة والمعرفة الإسرائيلية، وتحلّ مشكلة المياه في إسرائيل بإقامة مشاريع مشتركة لاستثمار مياه الأنهار الكبرى في المنطقة. وهذا المشروع هو الذي سوف يحقق الأمن لإسرائيل ويحقق "إسرائيل العظمى" التي لن تحكم الفلسطينيين فقط بل ستحكم العرب جميعاً، وتتحقق لها السيطرة والهيمنة والتربع على كامل المنطقة وثرواتها، وتدجين الشعب العربي وتطويعه، وتخريب النسيج الاجتماعي والاقتصادي في العالمين العربي والإسلامي، وهذا تأكيد استمرارية مشروعها الأساسي القائم على التوسع.

---

[38] رائد دحبور، "الصهيونية وجدلية التنوع الفكري – طبيعة الجذور الفكرية لليمين الصهيوني،" مجلة **قضايا إسرائيلية**، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، رام الله، العدد 69، 2018، ص 76.

[39] قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، **تطور التطبيع العربي الإسرائيلي وأثره على القضية الفلسطينية 2018/1/1–2020/10/26**، سلسلة ملف معلومات 27 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020)، ص 528.

ثالثاً: دلالات التطبيع العربي الإسرائيلي وانعكاساته على مستقبل القضية الفلسطينية:

يمكن معالجة دلالات التطبيع العربي الإسرائيلي وتأثيراته على القضية الفلسطينية، وانعكاساته المباشرة وغير المباشرة على مستقبل الحل الفلسطيني؛ من خلال استقراء مخرجات المسار التطبيعي في إطار السياق الذي جاء فيه، وضمن منظومة وبنية الصراع بصفة عامة، وذلك وفق اتجاهين:

1. التطبيع كإقرار عربي ضمني بـ"إسرائيل" دولة يهودية: الدلالات والانعكاسات:

بداية، يلاحظ الارتباك المفاهيمي في الطرح الإسرائيلي لفكرة "يهودية الدولة"، حيث يبدو جلياً تشابك المفاهيم واختلاف التفسيرات وتباين الإسقاطات السياسية، ويتجلّى ذلك في تصريح تسيبي ليفني Tzipi Livni في 2010/5/27 قائلة: "كلنا ندافع عن فكرة دولة إسرائيل في العالم ونشرح للجميع أننا دولة يهودية وديموقراطية، لكن كيف يمكن أن نناضل في شوارع العالم سعياً نحو دولة الشعب اليهودي، في حين أننا لم نعرف حتى الآن فيما بيننا ما هي". فـ"يهودية الدولة" ليس لها المعنى نفسه؛ "دولة اليهود" أو "إسرائيل" دولة قومية لـ"الشعب اليهودي"، كما أن "الدولة اليهودية الديموقراطية" تأخذ أبعاداً وشروطاً أخرى يجب الالتزام بها، فلكل من هذه الاصطلاحات إسقاطاتها على الواقع والمستقبل.[40]

يرجع مكمن هذا الارتباك إلى سؤال جوهري ومرجعي في الفكر الأيديولوجي والسياسي اليهودي مفاده: من هو اليهودي أصلاً؟، وهل يعرّف اليهودي تعريفاً قومياً أم تعريفاً دينياً؟، أي: هل نريد دولة يهودية بالمفهوم الديني أم بالمفهوم القومي؟ أم خليطاً بين الاثنين؟

[40] هنيدة غانم، عن الاعتراف بإسرائيل "دولة يهودية"، موقع عرب 48، 2012/5/18، انظر: https://www.arab48.com (اطلع عليه في 2021/2/25)

وفي ذلك تضيف هنيدة غانم قائلة إن:

> الصراع بين التعريف الديني لليهودي والتعريف القومي له شكّل محل نزاع وصراع مستمر ترك أثره على وجه المستقبل الإسرائيلي ككل. وفيما رأى التعريف الأرثوذكسي (الديني) في اليهودية انتماءً دينياً في الأساس، فإن التعريف القومي حاول الذهاب بالتعريف نحو الانتماء الإثني والثقافي، مع الاعتراف بالبعد الديني. وقد شهدت العقود المتعاقبة بعد إقامة إسرائيل توتراً بين تيارات أيديولوجية مختلفة تحاول أخذ التعريف نحو ما تريد، حيث يبدو اليوم أن الفروق أخذت في التقلص باتجاه قبول التعريف الأرثوذكسي أكثر من القومي.[41]

ويمكن إرجاع هذا الإشكال بين التيار المتديّن والعلماني؛ إلى إصرار العلمانيين على توسيع مفهوم اليهودي لزيادة أعداد الهجرة إلى "إسرائيل" لتشمل كل الأطياف، في حين يصرّ المتدينون على المحافظة على النقاء اليهودي من الأغيار، يقصد هنا بالخصوص الأغيار من المكون العربي المحيط بـ"إسرائيل"، "كوسيلة للوصول إلى الدولة اليهودية النقية من شوائبهم". وهنا يبرز أكثر سطوة المخيال الديني اليهودي؛ الذي يرى بضرورة الحفاظ على النقاء اليهودي وعدم الاختلاط مع العرب الذين يرون فيهم أقل منزلة، فأي توجه —حسبهم— نحو التماس السياسي والثقافي والديني، التطبيع، هو تهديد للجنس اليهودي وصفائه ونقائه، فمن الواجب الحفاظ على النقاء التزاماً بما ورد في العهد القديم، التوراة، والتلمود.

سرعان ما انتقل النقاش الداخلي حول من هو اليهودي؟ من نقاش يهودي – يهودي إلى نقاش عام؛ نقاش يهودي – فلسطيني، ما هي الدولة اليهودية؟، وهل تعرّف تعريفاً دينياً أم تعريفاً قومياً؟ أم مزيجاً بين ذلك؟ وهنا تجب الإشارة إلى أنه إذا كانت مسألة الجدال الداخلي اليهودي ليس لها آثار وانعكاسات كبيرة على الفلسطينيين والعرب، فإن النقاش الثاني يشكّل تأثيراً مباشراً ومصيرياً عليهم.

---

[41] هنيدة غانم، "إسرائيل كـ"دولة يهودية وديموقراطية"، إشكالية تعريف "من هو يهودي"،" مجلة **قضايا إسرائيلية**، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، رام الله، العدد 39–40، 2010/1/30، ص 10.

التطبيع والاعتراف: أي علاقة؟

يعني التطبيع بصفة آلية اعتراف الدول العربية المطبّعة بـ"إسرائيل" دولة يهودية، وبالتالي دمج بنية الصراع القومي والديني معاً، وبالرغم من الادعاء الإسرائيلي – الصهيوني في البداية أن القومية اليهودية هي أكبر وأبعد من المركّب الديني والطرح التوراتي، بل إنها تحتويه لكنها لا تقتصر عليه، فإن التطبيع لا يحيل على الاعتراف بالبعد الديني فحسب، وإنما يقود إلى الإقرار العربي بالحق التاريخي اليهودي، ومن ثم الإقرار آلياً وضمنياً بالرواية اليهودية في هذا المجال.

بيد أن هذه الرواية كانت تحاول في البداية التأكيد على أن اليهود هم السكان الأصليون لتلك الأرض كشعب،[42] ثم سرعان ما تمّ مزج البُعد القومي بالبُعد الديني من خلال مفهوم الأرض الموعودة، حيث يدعي اليهود أن فلسطين هي الأرض التي أعطاهم إياها "يهوه القدير" الرب، مستندين في ذلك إلى تبريرات توراتية وتلمودية.

وبدون الغوص في أسبقية اليهودية كديانة وكقومية، أو مرحلة الامتزاج بينهما في أطروحة التطبيع والاعتراف بـ"يهودية الدولة"، فإن هذا الاعتراف يعني في عموميته ما يلي:[43]

أ. الإقرار بالرواية اليهودية بإشكالاتها التاريخية والقانونية: فموضوع التطبيع لا يتعلق فقط بالإقرار بوجود "إسرائيل"، وإنما يرتبط أيضاً بالاعتراف الكامل بأطروحتها وروايتها التاريخية والدينية والسياسية حول الصراع عامة؛ الاستيطان، والنكبة، والنكسة، واللاجئين، والقدس، والحدود، والمفاوضات... .

يعني ذلك أن الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي، الإحلالي الاحتلالي الأبرتهايدي في فلسطين سيصبح عبارة عن تصحيح تاريخي، وأن الوجود الإسرائيلي الاستيطاني اليوم في فلسطين ليس سوى استرداد لحق تاريخي تمّ اغتصابه منهم في الأزمان

---

[42] وهو ما تنفيه كل الدراسات والأبحاث الأنثروبولوجية إلى حدّ الآن، كما لم يتمكن اليهود من إثبات ذلك على مرّ عقود من الحفريات والتنقيب خصوصاً في أورشليم (القدس) حول أي دلائل تاريخية أنثروبولوجية تثبت مزاعمهم (الهيكل المزعوم).

[43] أنطوان شلحت، "تكريس إسرائيل كدولة يهودية: عن انعكاس مطلب الدولة اليهودية ودلالاته على مرآة القراءات الإسرائيلية،" في هنيدة غانم وآخرون، في **معنى الدولة اليهودية** (عمّان: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2011) ص 148.

الغابرة،[44] فيصبح بذلك الوجود الفلسطيني وجوداً هامشياً، وعلى هذا النحو تكتمل الرواية الدينية التوراتية اليهودية مدعّمة بالمزاعم القومية والتاريخية لتصنع سيناريو سياسي مبني على استراتيجية تعديل تاريخ وجغرافيا فلسطين والمنطقة العربية في عمومها، الماضي اليهودي في الشتات، وبناء أفق مستقبل جديد على المرجعية الجديدة القائمة على تصورات الشرق الأوسط الجديد، المنظّر له منذ تسعينيات القرن العشرين من طرف شمعون بيريز.

بيد أن هذا التطبيع المولّد ضمنياً للإقرار والاعتراف العربي بـ"يهودية إسرائيل" يثير العديد من التساؤلات؛ سواء فيما يخصّ الطبيعة الدستورية لـ"إسرائيل" المستقبلية، بين التوجه الأبارتهايدي أم الطبيعة الديموقراطية. فهل الدولة التي سيتم الاعتراف بها على أنها دولة الشعب اليهودي بمعنى أن مواطنيها هم اليهود فقط؟، أم أن بها مواطنين من الدرجة الأولى وهم اليهود ومواطنين من الدرجة الثانية وهم العرب؟، أم أن لهذا المفهوم مبتغىً آخر؛ وهو الاعتراف النهائي بأن فلسطين الحالية والكثير من الأراضي العربية غير مقيّدة الحدود هي الأرض التاريخية لليهود التي فقدوها في زمن من الأزمان وعادوا إليها، وهو الموضوع الذي سيقلب الأوضاع رأساً على عقب من الناحية التاريخية والقانونية.

ب. إلغاء البعد الاستعماري الاستيطاني: بالصورة الذي يصبح فيه المشروع الاستيطاني الإسرائيلي في المنطقة عودة إلى أرض الأجداد، وبالتالي تسقط الصفة الاستعمارية، وكل المسؤوليات القانونية والأخلاقية حول النكبة، ووفق هذا المنطلق يصبح المستوطنون المهاجرون هم الأصليون، والفلسطينيون العرب مجرد مواطنين من درجة ثانية أو أقل، أو أقلية يجب التعامل معها وفق الظروف والأحوال.

وفي هذا الإطار يصبح الاستعمار الاستيطاني، الاحتلالي الإحلالي الأبارتهايدي الصهيوني مجرد حركة تصحيح تاريخي، أي تسقط مباشرة كل مسؤوليات الاستيطان، والمجازر، والإبادة، والتهجير، والتقتيل على مرّ العقود الماضية.

[44] أكثر ما يؤكد هذه النظرة الثابتة في المخيال الديني والسياسي اليهودي إلى حدّ اليوم؛ ورود وثيقة "إعلان قيام دولة إسرائيل" في 1948/5/14 بتسمية "وثيقة استقلال إسرائيل"، كإيحاء على الاستقلال من الاستعمار العربي الفلسطيني.

ج. تقوية الصبغة الدينية للصراع: فالتطبيع يقود ضمنياً إلى الاعتراف والإقرار المباشر بمختلف النصوص التوراتية والأساطير والخرافات التلمودية التي تبرّر السلوكيات السياسية الحالية، مما يعطي القوة أيضاً للتيار الاستيطاني اليهودي الديني منه أو العلماني لتبرير الاستيطان، وفق مقولة أحد المؤسسين الأوائل للصهيونية: "إن جماعة لا تؤمن بالله (اليهود والصهاينة العلمانيون) تطالب بالأرض التي منحت لها من الله (أرض الميعاد)".

وتزداد الصورة وضوحاً حين استقراء مكنونات المخيال الديني اليهودي الدّال بأن الصراع صراع وجود وليس صراع حدود، ذلك أن العديد من النصوص الدينية تبيّن بما لا يدع مجالاً للشك الوعد الإلهي القطعي والحصري "يهوه القدير" للنسل اليهودي بامتلاك الأرض الفلسطينية والعربية، وإعطائهم صكّ التصرف فيها بحرّيّة.

جاء في سفر التكوين،[45] الإصحاح (15) ما يلي: "في ذلك اليوم بثّ الرّب مع إبراهيم عهداً قائلاً "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"".

وفي السفر نفسه: الإصحاح (12) ما يلي: "واجتاز "إبرام" إلى مكان شيكم إلى بلوطة عورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرّب "لإبرام" وقال لنسلك أعطي هذه الأرض".

وفي الإصحاح (13) من السفر نفسه ما يلي: "وقال الرّب لإبراهيم.. ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعدّ تراب الأرض فنسلك أيضاً يعدّ...".

2. التطبيع العربي الإسرائيلي: دلالاته وانعكاساته على طبيعة وبنية ومسار الصراع:

حاول المنظّر الصهيوني على مدار أكثر من عقدين من الزمن أن يقلب مجرى الصراع من أساسه، وعلى هذا الأساس لم ينجح هذا الأخير في كسب معركة الميدان في الداخل الفلسطيني عن طريق التوسع الاحتلالي الاستيطاني الإحلالي فحسب، بل استطاع أيضاً

[45] **الكتاب المقدس**.

أن يحدث تغييرات متفاوتة الدرجة في طبيعة الصراع برمته من خلال تغيير أطرافه وفواعله ومساراته.

يأتي التطبيع في موجته الثانية كإحدى أهم وأخطر الأدوات التي أحدثت وتحدث شرحاً عميقاً في مسارات الصراع العربي الصهيوني وبنيته، إذ يبدو من الوهلة الأولى أن المعطيات والمؤشرات الأخيرة لهذا المسار، خصوصاً الخليجي منه، ستؤدي إلى تحولات جوهرية كبرى داخل خمس دوائر على الأقل:

- الدائرة الصهيونية – الإسلامية العربية.
- الدائرة العربية – الفلسطينية.
- الدائرة الفلسطينية – الإسرائيلية.
- الدائرة الفلسطينية – الفلسطينية.
- الدائرة الإسرائيلية.

وبالرغم من التداخل الواضح بين مدخلات الدوائر السالفة الذكر وأخرى، بما يجعل من الصعوبة بمكان الفصل بين متغيراتها ومؤشراتها، إلى أنه يمكننا الحديث عن بعض المخرجات المتباينة على النحو التالي:

أ. تحجيم الصراع من الصراع العربي الصهيوني إلى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي: أدّت الصراعات الداخلية والأزمات السياسية إلى جانب غياب التنسيق بين الدول العربية وتراجع مستوى العلاقات الثنائية بين معظم هذه الدول، إلى تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية وتحويل "السلام" من صراع عربي إسرائيلي شامل إلى صراع فلسطيني إسرائيلي، مع اتجاه نحو بناء علاقات تطبيعية عربية إسرائيلية لا ترتبط بتطورات التسوية السلمية بالمنظور الكلي، العرب و"إسرائيل"، في مراحل سابقة، أو بين الفلسطينيين والإسرائيليين في المرحلة الراهنة.

يقدم التطبيع فرصة لا مثيل لها للجانب الإسرائيلي للانفراد أكثر بالفلسطينيين ومحاصرتهم في زاوية أكثر ضيقاً، فبعد أن كانت القضية تأخذ بعداً عربياً إسلامياً، وينظر إليها على أنها القضية المركزية الجامعة، سيكون التطبيع ضربة قاصمة للعمل العربي المشترك حول الصراع، بحيث يكون من نتاج هذا التوجه الجديد تحييد المزيد من الأطراف والفواعل الإقليمية العربية ذات العلاقة المباشرة.

وإذا كان التطبيع، يُنظر إليه من زاوية الأطراف العربية المطبّعة بمنظور أمني ومصالح اقتصادية تجارية، فإن الاستراتيجية الإسرائيلية لها أهداف أكثر بعداً وعمقاً، وبالتالي يتمكن المنظّر الإسرائيلي من إضعاف وتقليل الوصاية العربية على القضية الفلسطينية. وفي ذلك يذهب الباحث منير شفيق إلى التأكيد على تمكّن "إسرائيل" من تكريس قطرية القضية الفلسطينية، حيث يرى أنها راهنت على تزعزع الرابطة القومية الأخلاقية بين الفلسطينيين والعرب، حينما يرى العرب أن أصحاب القضية هم الذين انعزلوا بقضيتهم عن الأمة العربية وقبلوا بالشروط الإسرائيلية وأقفلوا ملف قضيتهم، حتى إنهم تفاوضوا مع الإسرائيليين من خلال قنوات منفردة وسرية، أوسلو 1993 Oslo Accords، ليضيف منير شفيق: "في هذه الحالة ستصبح أي مطالب عربية مستقبلية، رسمية أو جماهيرية بتحرير فلسطين وكأنها تدخّل في شؤون الغير، وتكون حقّقت هدف تفكيك جبهة الإجماع العربي حول القضية"،[46] فـ"سلام" مستقر وثابت مع مصر أقوى دول الطوق، وعلاقات مطمئنة مع الأردن صاحبة الوضع الحساس، خصوصاً في القدس، ومن ثم اتفاقات تطبيعية رسمية جديدة مع بعض الدول الخليجية، الإمارات، والبحرين، وعُمان، والعربية الإفريقية، السودان والمغرب، وعلاقات دافئة مع السعودية وقطر والكويت، من شأنها أن تكفل تفكيك الصراع وتحييد مساره من خلال تجزيئه، بحيث ينتقل الصراع وفق هذه الحالة من عربي صهيوني إلى عربي فلسطيني على النحو التالي:

من: **عدو** "إسرائيل" صديقي فلسطين .....**عدوي** "إسرائيل".

إلى: **عدو** "إسرائيل" عدوي فلسطين .....**صديقي** "إسرائيل".

ب. تحويل الصراع من فلسطيني إسرائيلي إلى فلسطيني عربي: فبالتطبيع، كما قلنا سابقاً، تتآكل مركزية الصراع العربي الإسرائيلي، ما يؤدي إلى استبعاد الصراع من قائمة أولويات السياسات الخارجية للأنظمة العربية بتراجع موقفها في تبني قرارات أو مواقف واضحة تجاه مسائل مصيرية في الصراع؛ الاستيطان، والتهويد، ونقل السفارة...، وبه أيضاً تتبدل وجهة نظر العديد من الحكومات العربية بشكل تدريجي،

[46] منير شفيق، **أوسلو "1" "2": المسار والمآل**، ط 2 (فلسطين، الخليل: دار المستقبل للدراسات والنشر والإعلام، 1997)، ص 35.

ليتفكك المفكك أكثر وينتقل الصراع من صراع قائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ويتحول مع الوقت بطريقة دراماتيكية إلى صراع فلسطيني عربي.

هذا الوضع الجديد يشير إلى أن وجود "إسرائيل" في العقل والحقل السياسي العربي الرسمي بات بحكم الأمر الواقع بشكلها الحالي وجغرافيتها التي تمتد على مساحات من الأراضي المحتلة منذ أكثر من سبعة عقود، وفي الوقت الذي يتصادم هذا الواقع آلياً ومنطقياً مع تطلعات المشروع الوطني الفلسطيني ويتعارض مع الدولة الفلسطينية "الموعودة"، يبدو أنه لا يشكل إزعاجاً لأي من الأطراف العربية الأخرى.

وعليه، فالنكزات التطبيعية العربية، خصوصاً الخليجية الإسرائيلية تعكس رغبة كل منهما لرؤية علاقات بينية ثنائية تنهي حالة "العداء" بينهما دون أن يكون الفلسطينيون جزءاً منها، وهذا لا يعدّ ترسيخاً لواقع عزل المسار الفلسطيني عن المسار العربي فحسب، وإنما مؤشراً للتصادم الحقيقي بين المسارين.

ج. تفكيك الصراع من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى الصراع الفلسطيني – الفلسطيني: لقد كان من أهداف مختلف الخطط الإسرائيلية السابقة الوصول إلى الانقسام الفلسطيني من خلال تغذية أسبابه، ليأتي التطبيع في موجته الأخيرة ليكرّس هذا الأمر ويحوّل مجرى الصراع من فلسطيني – إسرائيلي إلى أن يكون أقرب إلى فلسطيني – فلسطيني.

ومن هذا المنطلق انقسم وتنقسم الدول العربية إلى قسمين: قسم يرى في حركة فتح والسلطة الفلسطينية صورة للإذعان والاستسلام، وآخر ينظر إلى حركة حماس بعين الريبة باعتبارها حركة تمرّد وانقلاب وخروج عن الصف الوطني الفلسطيني والعربي، نتيجة الاقتتال الداخلي الفلسطيني بين فصيلين سياسيين كبيرين فتح وحماس، حتى أصبحت الضفة والقطاع شبه دولتين متناحرتين، وهما بالمنظور الإسرائيلي سجنين كبيرين يسهل التحكم فيهما. ناهيك عن التوتر مع الجوار العربي وانعدام الثقة، ممّا أدّى ذلك إلى استنزاف الإمكانات والمقدرات الفلسطينية التي كان لزاماً استغلالها لمواجهة المشروع الاستيطاني الاحتلالي الإسرائيلي، والأمرّ من كل ذلك أن فرص التقارب أبعد بكثير منها من بوادر التباعد بين الطرفين، وهو ما يعدّ ورقة رابحة لـ"إسرائيل" في اتجاه تغيير مسار الصراع، وفتح آفاق جديدة للمناورة والابتزاز.

د. تقزيم الصراع ليصبح قضية إسرائيلية داخلية: فمن خلال التطبيع سيكون النجاح الإسرائيلي باهراً في تفكيك المفكك وتجزئة المجزأ، حيث يتحول جوهر القضية الفلسطينية من وجدانيته ومركزيته الإسلامية العربية الفلسطينية إلى شأن إسرائيلي داخلي، تتفاوض حوله "إسرائيل" مع أطراف فلسطينية متناقضة الأطروحات ومتصادمة الرؤى والتوجهات، وحين ذاك يطرح المنظور الإسرائيلي سواء داخلياً أم خارجياً انطلاقاً من مقاربة الحكم الذاتي فتتحول مركزيتها إلى الهامش لتتضمن نقاشات مرتبطة أكثر بمسألة الديموقراطية، والعدالة، والحقوق، والمساواة الواجب ضمانها "للرعايا الفلسطينيين".

هـ. تحويل القضية الفلسطينية من قضية قومية سياسية إلى قضية إنسانية إقليمية: من أبرز ما يلفت النظر في موضوع التقارب العربي الإسرائيلي المتنامي، بروز ملامح تحييد مسار الصراع وتفكيكه، وتمييع مرتكزاته وزوايا معالجته أيديولوجياً وسياسياً، وتمكّن المنظِّر الإسرائيلي—تزامناً مع المخرجات السياسية والقيمية للتطبيع—من نقل القضية الفلسطينية من قضية سياسية جوهرها الاحتلال الاستيطاني الإحلالي الاحتلالي لأرض فلسطين التاريخية وتشريد شعبها والاستيلاء على أرضهم وممتلكاتهم، إلى قضية إنسانية يجب معالجتها إنسانياً.

لقد تمكنت "إسرائيل" سابقاً من خلال الاستراتيجية المتبعة سواء الاستراتيجية العامة تجاه البلدان العربية، أم الاستراتيجية التفاوضية تجاههم والفلسطينيين من تحجيم القضية من قضية قومية سياسية لوطن مستعمِر يجب تحريره إلى قضية إنسانية لا تعني فقط "إسرائيل" وإنما مسؤولية الجميع، فأراضي الدول العربية المجاورة بإمكانها استيعاب المزيد من الفلسطينيين، كما أن رؤوس الأموال الخليجية أيضاً كفيلة بمعالجة المعضلة، باعتبارها إنسانية واقتصادية، من أساسها، الشق الإنساني الاقتصادي من "صفقة القرن"، وعليه فمسألة اللاجئين مثلاً أصبحت مسألة إنسانية وليست سياسية؛ بحيث يجب النظر في حالتهم وظروفهم اللا إنسانية واقتراح حلّ من قبيل إسكانهم في دول الجوار العربي، أما قضيتا القدس والاستيطان فأصبحتا في حدّ ذاتهما تأخذان حيزاً أكبر من القضية الأساسية "قضية التحرير"، فأصبحت كل الجدالات الفكرية والسياسية متمحورة حول كيفية مساعدة الفلسطينيين إنسانياً واقتصادياً وضمان الحد الأدنى من تمتعهم بحقوقهم الإنسانية كرعايا تحت مظلة الاحتلال.

خاتمة:

من المفارقات التاريخية العجيبة التي رافقت ظهور "إسرائيل" أن أول من حمل لواء الاستعمار، والاستيطان، والتنظير لمفهوم العودة وأرض الميعاد، و"إرتس إسرائيل"، هم الصهاينة العلمانيون وعلى رأسهم تيودور هرتزل Theodor Herzl، ومكمن العجب هنا أن قوماً لا يؤمنون بالله يطالبون بأرض أعطاهم إياها الله "يهوه القدير"، مستندين في ذلك على سرديات تاريخية أيديولوجية تمزج بين الخرافات والأساطير الأنثروبولوجية، والنصوص والمرويات الثيولوجية التوراتية والتلمودية.

لقد بدا واضحاً منذ البداية أن المشروع الاستيطاني اليهودي الصهيوني الاستعماري الإحلالي التوسعي الأبارتهايدي، ما كان له أن ينجح لو لم ينشأ داخل الحاضنة الدينية اليهودية، بكل تجلياتها وروافدها العنصرية الإقصائية تجاه كل من هو خارج دائرة القداسة الإلهية المحدّدة في النصوص الدينية اليهودية القديمة.

عطفاً على ذلك، ما يزال النظام الإسرائيلي إلى حدّ اليوم محافظاً على المسار الأيديولوجي نفسه، باستناده المتزايد على المعتقدات والقيم الدينية التي تعمل على إنتاج وشرعنة سياسات التفوق والفصل العنصري، وهو ما أشار إليه قانون أساس "إسرائيل" "يهودية الدولة" الصادر سنة 2017، إذ تؤكد كل أغلب أبوابه ومحاوره إلى محاولة تأصيل وتثبيت تراتبية قائمة على مقاربة "هم أو نحن، ولا مكان للاثنين".

تسهم المرجعية الدينية اليهودية في السنوات الأخيرة أكثر فأكثر في الخطاب السياسي والعسكري الإسرائيلي، إذ برز بشكل واضح ومتزايد هيمنة المفردات والرموز الدينية عليه، بشكل أظهر للعلن منظومة ثيولوجية يهودية كاملة معادية للأغيار، وهو ما طرح مفارقة أخرى، ومن نوع آخر: سيرورة إسرائيلية مجتمعية نحو التطرف والانعزال ونبذ الآخر العربي، وتقارب وتطبيع رسمي مع بعض البلدان العربية يتم تسويقه بصورة متسارعة وعلنية أيضاً.

ومن خلال ذلك، نذهب إلى القول إنه لا يمكن لكيان بُنيَ على روافد وأُسس قائمة على أن "إبادة الآخر من تمام العبادة"، وأن الصراع معه صراع وجود وليس حدود، أن يتحول فجأة من النقيض إلى النقيض، ليحتضن—في إطار مسار التطبيع—ضمن

منظومته المتطرفة الإقصائية فواعلاً كانت تصنف ضمن "العربي المتخلف، العربي الهامشي..."

وإذا كان الوضع العربي قد تأثر بدرجة كبيرة بمخرجات ما عرف بـ"الربيع العربي"، فإن التطبيع العربي الإسرائيلي هو أحد مدخلات "الربيع العبري الإسرائيلي"، فكيف يا ترى ستكون مخرجاته في السنوات القليلة القادمة؟

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أن الصراع في أساسه صراع وجود وليس صراع حدود، ولا يمكن إطلاقاً بناء علاقات سوية في ظلّ خلفية دينية إقصائية إحلالية متجذرة، فإذا كانت نزاعات المصالح هي نزاعات ظرفية على الحدود الفاصلة بين الشخص ومن ينافسه اقتصادياً أو سياسياً، فإن الصراع الوجودي هنا في الأنموذج الإسرائيلي العربي هي مسألة بقاء الذات وليس المصالح، وإن الخيار التطبيعي في الوضع الحالي ما هو إلا انغماس في مأزق وجودي جديد.

2. لا شكّ أن التطبيع يضع الدول المطبّعة والقضية الفلسطينية في سلة واحدة، فلا يمكن القول إنه يضرّ طرفاً على خلاف الآخر، فالتطبيع الحالي في سماته العامة يحمل في ثناياه بذور فشله وسقوطه، ذلك أنه من "غير الطبيعي" إقامة علاقات "طبيعية" مع كيان غير طبيعي، بشذوذه البنيوي وبنيته الوظيفية، فالمشروع الصهيوني بخلفيته وأهدافه، وببنيته وتكوينه، وبأدواته ووسائله، وبتصوراته وأهدافه، وبأطروحاته وتنظيراته، يتصادم ويتناقض مع محيطه العربي بما يجعل المواجهة —الحتمية— معه مواجهة صفرية، قائمة على أساس وجودي وليس حدودي.

3. إن الروح العدوانية الإقصائية تجاه الأغيار و"الغويم" العربي الفلسطيني بالتحديد سمة وجدانية ثابتة، ونزعة فطرية يهودية صهيونية أصيلة، إذ ليس لها أي علاقة بالادعاء الإسرائيلي أنها ردة فعل ونتاج للمحيط العربي المعادي، فالأخذ بهذا التبرير يغفل حقيقة الطباع اليهودية العدوانية الإقصائية التي بلورتها الروافد الدينية التوراتية والتلمودية المتطرفة، ناهيك عن النزعة الإرهابية للشخصية اليهودية الإسرائيلية التي أثرت فيها مراحل تاريخية كالشتات ومرحلة "الجيتو" ومرحلة الصهيونية وما بعد الصهيونية.

4. أن الرهان الأساسي اليوم مبني على الشعوب وقواها المجتمعية الحية ونخبها الجديدة، لإفشال هذه الخطوات التطبيعية ووأدها وهي في بداياتها، أو تبقيها في حدّها السياسي الأدنى مع الأنظمة بدون النفوذ للمستوى الشعبي، فالتجارب الأولى التي مثلها الأنموذج المصري والأردني بينت أنه بالرغم من حدوث التطبيع العمودي إلا أن التطبيع الأفقي بقي عصياً على المطبّعين لعقود طويلة، وعليه بقي في حساب الأنظمة وليس الشعوب.

5. أن هذا الهوس التطبيعي مجرّد موجة جاءت في إطار وضع إقليمي اقتصادي؛ جائحة كورونا COVID–19، وعسكري؛ التهديد الإيراني، وسياسي؛ الانتخابات الأمريكية والإسرائيلية، متقلب وغير مستقر، فحين يكتشف كل طرف حقيقة الطرف الآخر ونواياه الحقيقية، وطبيعة ما يحمله من بذور الفناء الثنائي، سيؤدي ذلك إلى العودة السريعة للوضع الذي يجب أن يكون.

Abstract

Normalization in the Jewish Religious Imagination: Is There a Future for a Normal Relationship Between the "Gentiles" and "God's Chosen People"?

As a phenomenon in international relations in general, and colonial narratives, in particular, normalization is considered a unique historical legacy with its manifold manifestations. It has been practiced in different ways and mechanisms depending on the historical context, and the role of ideology in the practitioner's imagination. It is worth recalling that normalization relations with ideological backgrounds are basically considered the most complex among all other experiences of normalization; for they are totally cut off from reality (reason) and are replaced by imagination (ideology and theology). In this case, there is no real dialogue, but rather barriers of hidden feelings of superiority or inferiority, or hatred and exclusion.

The present study aims to explore the influence of religious value contradictions in the new Arab-Israeli normalization model from the perspective of the Jewish religious imagination of Gentiles. It addresses the following question: Can political and security considerations and economic interests transcend the religious complex in this model of normalization?

Keywords:

Normalization	Palestine	Israel	The Imagination

Studies on Normalization with the Zionist State

The Award-Winning Studies of the International Research Competition "No to Normalization"

هذا الكتاب

يُعدُّ التطبيعُ مع الاحتلال الإسرائيلي من أكبر المخاطر التي تواجهها القضية الفلسطينية في الوقت الراهن، حيث إنه يهدف بشكل رئيسي إلى إعادة تشكيل منظومة العلاقات والقيم والمفاهيم العربية والإسلامية تجاه الاحتلال، وفق الرؤية الصهيونية؛ ويهدف إلى عزل فلسطين عن أبعادها العربية والإسلامية والاستفراد بقضية فلسطين سعياً لشطبها، وإغلاق ملفها.

يحتوي هذا الكتاب على 13 بحثاً، تمّ انتقاؤها من الأبحاث الفائزة في المسابقة البحثية الدولية "لا للتطبيع"، والتي نظمتها الهيئة العامة للشباب والثقافة – غزة، بالمشاركة مع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات – بيروت، وأكاديمية المسيري للدراسات والتدريب – غزة، ومركز المبادرة الاستراتيجية – ماليزيا. والأبحاث المنشورة هي أبحاث علميَّة محكَّمة، تمّ إجازتها من الجهة التي حكّمت المسابقة، وقد غطّت الأبحاث بشكل متكامل الجوانب الشرعية، والتربوية، والثقافية، والحضارية، والسياسية، والاقتصادية، والإعلامية، والأمنية، والعسكرية المتعلقة بمقاومة التطبيع.

يُعدّ هذا الكتاب أحد أبرز المراجع المتعلقة بالتطبيع مع الكيان الصهيوني، والتي لا غنى عنها للمعنيين والمتخصصين؛ وقد خضع الكتاب لإجراءات التحرير العلمي من مراجعة وتدقيق وضبط نصوص وتوثيق، حتى خرج في حلته النهائية.

ISBN 978-614-494-026-6

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net